

الغفور الرحيم

باسم سعيد البسومي - كلية العلوم التربوية

الغفور والرحيم هما اسمان من أسماء الله تعالى. وقد اقترن الاسمان معا في القرآن الكريم في تسع وستين موضعا تقدم فيها اسم الغفور على اسم الرحيم في جميع المواقع. وحيث أنّ المغفرة هي ستر للذنوب فإنّ الرحمة هي تفضّل وإنعام زائد على مغفرة الذنوب. لذا كان من الطبيعي تقدم المغفرة على الرحمة، وكما يقول أهل التصوف، التخلية قبل التحلية:

- {وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {يونس 107}
- {قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {يوسف 98}
- {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {الزمر 53}
- {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء 106}
- {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} {الفرقان 6}

وإذا كان هذا هو الواقع فيما يتعلق باسمي الله تعالى الغفور والرحيم فإنّ هذا الواقع ينسحب أيضا على الرحمة والمغفرة أينما وجدت في كتاب الله تعالى، حيث تقدمت المغفرة على الرحمة في كافة المواقع كما في قوله تعالى:

- {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء 96}
- {قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {النمل 46}

حتى في الدعاء فإننا نلاحظ أنّ آيات الدعاء قد تقدمت فيها المغفرة على الرحمة، إذ من الطبيعي أن يدعو الانسان الله تعالى بأن يغفر له ذنوبه ومن ثمّ يصبح بعدئذ أهلا لأن يُرحم، كما هو الحال في الآيات الآتية:

- {إِنَّهُ كَانَ قَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَفُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} {المؤمنون 109}
- {أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} {الأعراف 155}
- {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} {المؤمنون 118}

بعد هذا الاستقراء للآيات الكريمة لجميع المواقع التي وردت فيها المغفرة والرحمة، أو الغفور والرحيم، نلاحظ أنه لم يخرج عن هذا النسق في تقدّم المغفرة عن الرحمة إلا آيتين اثنتين فقط، وهما:

- {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} {سبا2}
- {وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {الأعراف149}

إنّ العودة إلى سياق الآيات يمكن أن يفسر لنا الحكمة وراء هذا التغيير في النظم القرآني؛ فأية سبأ جاءت في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى وعلمه والعناية بالسموات والأرض، فالله تعالى يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فرحمة الله تعالى تتجلي لهذه المخلوقات جميعاً. كما أنه لا حديث في هذه الآية عن ذنوب العباد، لذلك كانت الرحمة جديرة بالتقدم على المغفرة في هذا الموقع.

أما آية الأعراف فإنّ الموقف فيها يختلف تماماً عن باقي الأمثلة التي جاءت في الدعاء، فبنو اسرائيل لما سَقَطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا أدركوا أن لا محال من العذاب وأنه واقع بهم وأنّ الهلاك على الأبواب، فسارعوا إلى طلب الرحمة قبل المغفرة، لأنّ الموقف لا يحتمل، فالمهم عندهم في هذا الوقت أن يُرحموا أولاً فلا ينزل بهم العذاب المتوقع، لذلك كان من البديع القرآني في هذه الآية تقدّم الرحمة على المغفرة.